DOI: https://doi.org/10.37547/supsci-ojp-06-I3-58 Pages: 568-579

Oriental Journal of Philology

ORIENTAL JOURNAL OF PHILOLOGY

journal homepage:
http://www.supportscience.uz/index.php/ojp/about

DISCOURSE AND COMMUNICATIVE INTENT IN LANGUAGE ANALYSIS

Rachad Salhi
Associate Professor, PhD in Philology
Department of Arabic Translation Theory and Practice
Uzbekistan State World Languages University
rachaddoctorant@gmail.com
Tashkent, Uzbekistan

ABOUT ARTICLE

Key words: discourse, analysis, rhetorical intentionality, language.

Received: 08.05.26
Accepted: 09.05.26
Published: 10.05.26

Abstract: The process of discourse analysis – regardless of its type – is fundamentally based on two main pillars: description and analysis. The former always precedes the latter, considering that description aims to uncover the elements of discourse, starting from individual structures, to minor predicative structures (the sentence), then major ones (the text), and the links that achieve harmony and coherence of these structures, guided by the subjects and meanings to which these structures refer. Therefore, this study aims to unveil the meaning of discourse and what it seeks in terms of objectives, which are referred to as discursive intentionality.

TIL TAHLILIDA NUTQ VA NUTQIY MAQSAD

Rachad Salhi
Dotsent, filologiya fanlari bo'yicha falsafa doktori (PhD)
Arab tili tarjima nazariyasi va amaliyoti kafedrasi
O'zbekiston davlat jahon tillari universiteti
rachaddoctorant@gmail.com
Toshkent, O'zbekiston

MAQOLA HAQIDA

Kalit so'zlar: nutq, tahlil, nutqiy maqsadlilik, til.

Annotatsiya: Nutq tahlili jarayoni – qaysi turga mansub bo'lishidan qat'i nazar – asosan ikki asosiy tayanchga tayanadi: tasvir va tahlil. Birinchi har doim ikkinchisini kuzatadi, chunki tasvir nutqning elementlarini ochishga qaratilgan bo'lib, yakka tartibdagi tuzilmalardan boshlab, kichik sintaktik

birikmalarga (gap), katta (matn) va ushbu tuzilmalarni uyg'un va muvofiq qiladigan bog'lanmalarga, shuningdek, ushbu birikmalarga ishora qiladigan mavzu va ma'nolarga qadar boradi. Shu sababli, ushbu tadqiqot nutq ma'nosini va uning maqsadiga qaratilgan niyatlarni, ya'ni nutqiy maqsadni, ochib berishga qaratilgan.

РЕЧЬ И РЕЧЕВАЯ ЦЕЛЬ В ЯЗЫКОВОМ АНАЛИЗЕ

Рашад Салхи
Доцент, доктор философии (PhD) по филологическим наукам
Кафедра теории и практики перевода арабского языка
Узбекский государственный университет мировых языков
rachaddoctorant@gmail.com
Ташкент, Узбекистан

О СТАТЬЕ

Ключевые слова: речь, анализ, речевая целенаправленность, язык.

Аннотация: Процесс анализа речи — независимо от её типа — в основном опирается на две ключевые основы: описание и анализ. Первое всегда предшествует второму, поскольку описание направлено на раскрытие элементов речи, начиная с отдельных структур, затем малых синтаксических единиц (предложений), более крупных единиц (текста), а также связей, обеспечивающих целостность и согласованность этих структур, включая темы и значения, на которые указывают данные сочетания. В связи с этим данное исследование направлено на раскрытие смысла речи и намерений, связанных с её целью, то есть речевой целью.

مقدمة. إنّ تحديد المفاهيم وضبطها يعدّ من أهمّ القضايا التي شغلت بال الدّارسين في مختلف مجالات البحث والمعرفة، خاصة إذا تعلق الأمر بالمصطلحات العلمية التي تستلزم الكثير من الدّقة والضبط، لاسيما المصطلحات الوافدة من لغات وثقافات مغايرة، والتي كثيراً ما تطرح اختلافاً بل وتضارباً بين الباحثين، لإيجاد مقابلات دقيقة لهذه المصطلحات.

لذلك فقد وجد العديد من الباحثين أنفسهم في حرج كبير، في تحديد مصطلحاتهم وتوظيفها بطريقة ناجحة، تخدم البحث ومراميه، لذلك فإن تحديد المصطلح يعد من أهم التحديات التي تواجه عملية البحث، الأمر الذي يلزم الباحث ضبط منطلقاته الاصطلاحية، قبل الخوض في رحلة البحث، وفي ذلك يقول "فولتير": "قبل أن تتحدث حدد مصطلحاتك" [Irsh, I ،1994 5p].

لذلك فإننا قبل أن نخوض في بحثنا هذا سنحدد معنيي الخطاب والمقصدية الخطابية ومفهوميهما في الثقافة العربية والغربية، لغة واصطلاحا، فما هو الخطاب وما المقصود بالمقصدية الخطابية؟

1- الخطاب والمقصدية الخطابية ومفهومهما:

إقراراً منّا بأهمّية تحديد المصطلح في كل الدراسات والبحوث العلمية، عمدنا إلى تحديد مجموعة من المصطلحات التي سنوظّفها على مدار هذه الأجزاء من البحث، محاولين قدر الإمكان الالتزام بها، وفق المفاهيم المقدمة في هذا الباب، وقد حاولنا

قدر الإمكان الوقوف على التقاطعات التي وقفنا عليها عند جملة من الباحثين والمنظرين، دون الزّج بالبحث في متاهات تلك التفريعات والتضاربات التي نرى أنها لا تخدمه بقدر ما تشتّته وتزيده تعقيداً، لذلك فقد اكتفينا بالمتفق عليه دون المختلف فيه، وبما يتوافق ومسار البحث وخطته، ونقصد بذلك الدراسات التداولية في علاقتها بالبلاغة العربية، ولعلّ من أبرز هذه المصطلحات: المقصدية والخطاب، وما ينجر عنهما من تلاحم.

1-1- مفهوم الخطاب:

كثيراً ما يتم تداول لفظ الخطاب مقروناً بوصف آخر، كالخطاب السياسي، والخطاب الدّيني، والصوفيّ ...إلخ، مما يوحي بتعدد واختلاف أبعاده ودلالاته، باختلاف التوجهات وتعدد ميادين المعرفة، دون أن تخرج هذه المفاهيم - تقريباً- عن السمة الأصلية والمشتركة لهذا المصطلح، وهي أن الخطاب دائماً " يجمع بين القول والعمل" [Al-Shahri, A. H. B. Z. ، 2004، 34p].

وهي الفكرة ذاتها التي تفطن لها البلاغيون العرب في مراحل متقدمة من تنظيراتهم، ومنهم الجاحظ بما نقله عن الصحيفة الهندية في سياق حديثه عن مواصفات الخطيب بقوله: "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللّحظ متميّز اللّفظ، لا يكلّم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة" [Al-Jahiz, A. B. ، 1998 92p]، وعلى هذا فسنحاول تقصي بعض المفاهيم المرتبطة بهذا المصطلح في الثقافة العربية، ونظيرتها الغربية أيضاً، مع مراعاة درجات التفاوت والتقارب في المعنى بين الثقافتين، بشكل مختصر، دون استرسال أو إطناب في التّفرعات.

أ- الخطاب في الثقافة العربية:

لم يكن الاهتمام بالخطاب ودراسته وليد اللّسانيات الحديثة، بل إن له امتدادات قديمة تصل إلى نحو الجملة والفلسفة والفقه ... وغيرها، وقبل أن نُدليَ ببعض مفاهيم مصطلح الخطاب في الثّقافة العربية، خاصة عند اللّغويين – وهو ما يهمّنا في هذا المبحث – حري بنا أن نشير إلى المعنى اللّغوي للمصطلح، من باب تحديد الوجهة الدّلالية وضبطها، والتي تفيدنا في سبر أغوار باقي الدلالات الاصطلاحية، إذ أورد "صاحب اللّسان"، لفظ الخطاب والمُخاطبة بمعنى " مُرَاجَعةِ الكلام، قَدْ خَاطَبَهُ بالكَلامِ مُخَاطَبةً و خِطَاباً وهُما مُتَخَاطِبَانِ، واللَّيثُ : الخُطبَةُ مَصدَرُ الخَطِيبِ، وخَطَبَ الخاطِبُ عَلى المِنبَرِ، واخْتَطَبَ بِخَطْبٍ خِطَابُهُ، واسمُ الكَلَامِ الخُطْبَةُ... والمُخَاطَبَةُ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الخِطَابِ وَالمُشَاورَةِ " [Ibn Manzur، 1994, p 1994].

كما ورد لفظ الخطاب في الثقافة العربية في مواضع عدة، أبرزها القرآن الكريم، إذ يمكن أن نقف على هذا اللفظ بصيغ متعددة، من ضمنها صيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ وبصيغة المصدر في قوله الكريم: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ .

وقيل المراد بفصل الخطاب، الصفات التي أعطاها الله سبحانه وتعالى لسيدنا داود عليه السلام من قدرة على الإدراك تختلف عن باقي الكائنات، وقيل أيضاً، إن المراد بفصل الخطاب "هو أن يحكم بالبينة واليمين، وقيل معناها أن يفصل بين الحق والباطل، ويميز بين الحكم وضده، وقيل فصل الخطاب (أمّا بعد) فداوود عليه السلام أول من قال أما بعد، وقيل فصل الخطاب الفقه في القضاء" [Ibn Manzur، 1994, p 1995]. وعليه اعتماداً على تفاسير هذه الآيات، يتضح أن لفظ الخطاب يتضمن مجموعة من المعاني أبرزها الدعاء والكلام البيّن والجدال والمجادلة.

كما ورد لفظ الخطاب أكثر عند الأصوليين باعتبار أنه اللّبنة الأولى التي تقوم عليها اجتهاداتهم ، ولذلك فقد عنوا بتحديد مفهومه وضبط موضوعاته وأقسامه والعناصر المشكلة له، سواءً كانت لغوية أو غير لغوية، لذلك فقد عُرّف من قِبلهم بأنه "أحد مصدري الفعل خاطب يُخاطِب، خطاباً ومخاطبةً، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهمه، نقلاً من الدلالة على الحدث، إلى الدلالة الإسمية، فأصبح في عرف الأصوليين يدل على ما خُوطِب به، وهو الكلام" [Khitabu shar'iy/Religious Discourse، 21p].

وعليه فإن من خصائص الخطاب أن يكون موجهاً إلى من يتوفر على شرط فهم الكلام الموجه إليه، لذلك فقد جعل الجويني (ت 478ه) الخطاب والكلام واحداً وذلك أن " الكلام والخطاب والتكلم والتخاطب والنطق واحد في حقيقة اللّغة، وهو ما يصير به الحي متكلما" [Hammadi I. 1994, p. 32] كما أضاف الآمدي – إلى جانب شرط التّوجيه – شرط القدرة على الفهم في تعريفه للخطاب فهو "اللّفظ المتواضَع عليه المقصود به إفهام من هو مُتهيّء لفهمه" [Al-Juwayni 1979, p. 136]، مؤكداً على ضرورة توفر أرضية لغوية بين طريفي الخطاب (المتكلم والسامع) مع توفر قصد التوجه بالخطاب من جهة الأول، وشرط القدرة على الفهم والاستعداد له من جهة الثاني.

ب. الخطاب في الثقافة الغربية:

لم يكن مصطلح الخطاب أوفر حظاً من الدقة والضبط اللّازمين كغيره من المصطلحات النقدية واللّسانية، سواء على مستوى المصطلح أو على مستوى المفهوم، لذلك فقد تجاذبَتْه مفاهيم وحدود متعددة، اختلفت باختلاف اتجاه الدراسة وزاوية الرؤية، وهي الحقيقة التي أقرها "ميشال فوكو (Michel Foucault) "حينما قال: "وبدل أن أُقلّص تدريجياً من معنى كلمة

خطاب (Discours) وما لها من اضطراب وتقلّب، أعتقد أنّني في حقيقة الأمر أضفت لها معاني أخرى بمعالجتها أحياناً كمجال عام لكل العبارات، وأحياناً كمجموعات من العبارات الخاصة، وأحيانا أخرى كممارسة منظّمة تفسّر وتبرّر العديد من العبارات" [Al-Amidi S.D., 1986, p. 3].

الأمر الذي يؤكد الصعوبة التي يمكن أن تواجه الباحث في تحديد وضبط هذا المصطلح، وهو ما أوقع الكثير منهم في فخ مقابلته بمصطلحات نقدية ولسانية أخرى، على غرار، الكلام، الملفوظ، النص، اللغة، الجملة ... إلخ، من منطلق أن ما شاع عن الخطاب عن كونه بنية أو شبكة من العلاقات القائمة بين العناصر المشكلة لبنيته، وبين نقاط مرجعيته تقع خارج نطاقه.

ويقال إنّ مصطلح الخطاب من المصطلحات التي استمدت من خارج حقل اللغة، إذ "لم يكن لفظ الخطاب متّصلاً في الأصل باللغة اتصالاً مباشراً، إذ اللّفظ الفرنسي(Discours) مشتق من الأصل اللاتينيّ (Discurrere) بمعنى الجري هنا وهنا" [Meliza S., 2004, p. 102] ولكن سرعان ما تغلغل هذا المصطلح في حقل الدراسات اللّسانية ، في خضم اهتمام اللّسانيين بدراسة اللغة دراسة وصفية، إذ أن مصطلح الخطاب قد ارتبط في الدراسات الغربية بفكرة أساسية في هذه الدراسات، ونقصد بذلك ثنائية اللغة والكلام التي أسس لها "دوسوسير (Ferdinand de Saussure)"، جاعلا اللغة ملكة جماعية ذات بنية لغوية معينة ، بينما الكلام فهو التأدية الفردية لهذه الملكة.

ويركز "دو سوسير" في دراسته على قطب اللغة بصفتها صورة ثابتة، وبنية قائمة على شبكة من العلاقات، دون الكلام عن ذلك العنصر المتغير، الذي " يتحقق في صور مختلفة لا حصر لها، يتعذّر دراسة هذه الصور في الواقع" [Al-Habasha S. M., 2011, p. 79] لذلك فقد توجهت الدراسات كلها تقريباً إلى دراسة الشق الثابت من اللسان دراسة آنية وصفية، تهدف بالأساس إلى الكشف عن مجمل الخصائص والشروط التي تتحكم في هذه البنية المغلقة والمعقدة دون الالتفات إلى ما حيط بها ويؤثر فيها خارجياً، حتى جاء الوظيفيون ولفتوا الانتباه إلى الجانب المهم من الدراسة.

وتذكر البحوث أن أول من استخدم مصطلح "الخطاب "هو"هايمز (Haymse)"، في الدراسات اللّسانية الحديثة، في محاولة منه لتوسيع التحليل اللّساني من الجملة إلى الخطاب، بيد أن مفهوم الخطاب قد تعدّد وتنوع بحسب منطلقات كل اتجاه، من الدراسة الشّكلية إلى الدّراسة التّواصلية، فالاتجاه الأول يرى بأنه "الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة" [Haj Hammou, D., 2012, p. 79].

مع الاهتمام بالعناصر المشكّلة لهذا الشّكل، والبحث عن الرّوابط والعلاقات القائمة بينها، ومدى انسجامها ومناسبتها لبعضها البعض، كون أن الخطاب هو "وحدة مساوية للجمل أو هي أكبر منها، وتتشكل هذه الوحدة من متتاليات تكون رسالة (Message) ذات بداية ونهاية" [Meliza S. 2004, p. 104].

بينما نظر إليه الاتجاه الثاني على أنه الاستعمال الفعلي لنظام اللغة ، فإذا كان اللّسان "نظام يتقاسمه أفراد مجموعة لسانية ، (فالخطاب هو) استعمال مخصوص لهذا النّظام" [Meliza S. 2004, p. 104].

وعلى هذا فقد توجه الاهتمام إلى الشق التفاعلي لهذا الاستعمال، والتّركيز أكثر على إنجازيته المتحققة في ظروف وأنساق معينة، حتى قيل إن الخطاب هو "نشاط فواعل واقعين في سياقات معينة" [Meliza S. 2004, p. 106].

متجاوزين بذلك الوصف الشكلي للخطاب، إلى تحديد مجموع العناصر المشكلة له والمؤثرة فيه، والمساعدة على تأويله.

فكانت الدعوة صريحة من هؤلاء إلى الاعتناء بعناصر السياق ومدى توظيفها في إنتاج الخطاب وفي تلقيه، كدور العلاقة بين طرفي الخطاب ودرجتهما الاجتماعية وطبيعة الظروف المحيطة بعملية التلفظ، من سلطة وهدف ومقصدية، مما جعل مصطلح الخطاب "يُحيل على نوع من التناول للّغة، أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدّد، اللّغة في الخطاب لا تعد بنية اعتباطية بل نشاطاً لأفراد مندرجين في سياقات معينة" [Al-Shahri, A. H. B. Z., 2004, p. 38].

وهي المعطيات التي يجب على المرسل استثمارها لتحقيق أهدافه من الخطاب، بتوجيهه بطرق واستراتيجيات مختلفة، وبهذا فإن دراسة الخطاب وفق هذا الطرح لا تنطلق من الجملة باعتبارها تراكماً لوحدات لغوية صغرى، بعيداً عن سياقاتها، بل إنها تنظر إليها على أنّها مجموعة من السياقات التّلفظية، والتي قد تتجاوز الخطاب بمنظوره اللّغوي، إلى أنماط تواصلية أوسع، كالخطاب الإعلاني، والمسرحي، والرسم...إلخ، فالخطاب ليس بناء لغويا محضاً، بل "هو ممارسة تجري تداولياً في السياق" [Maingueneau, D., 2008, p. 40].

هذا وقد تعددت التعريفات المقدمة من طرف الباحثين البنيويين الوظيفيين، أمثال "جون ديبوا (J.Dubois) "لمصطلح الخطاب، والذي جمع بين الشكل والاستعمال، في تعريفه للخطاب بأنه":

1- هو الكلام الموضوع في الاستعمال، أو اللغة المضطلعة من طرف الفاعل المتكلم.

2- الخطاب وحدة مساوية أو أعلى من الجملة، وهو مكون من سلسلة، مشكّلة رسالة لها بداية ونهاية.

3- الخطاب يعني كل الملفوظات الأعلى من الجملة" [Dubois J., p. 156].

والملاحظ من خلال هذا التعريف أن "ديبوا" قد ركز على بيان أوجه تحليل الخطاب وفق هذا الاتجاه، فالوجه الأول هو الجانب الشكلي والذي يشمل مجموع الوحدات اللغوية المتماسكة والمنسجمة، والتي تشكل بنية أو كتلة مغلقة، تفوق أو تساوي

الجملة، أما الجانب الثاني وهو الجانب التواصلي الوظيفي، والذي يرتبط بالاستعمال الخاص للغة من طرف المتكلم ضمن ظروف ومواقف محددة، فإذا كانت اللغة هي "نظام مشترك بين أفراد الجماعة اللغوية مخالفة للخطاب من حيث هو استعمال محدد لهذا النظام" [Al-Shahri, A. H. B. Z., 2004, p. 39]، فهو اتصال وتواصل لغوي بين المتكلّم والسّامع، بل هو تفاعل متبادل بينهما.

ولعلّ من التعاريف المقدّمة للخطاب والأكثر شيوعاً في حقل الدراسات اللّسانية الحديثة، التّعريف الذي قدّمه "إميل بنفست (Emile Benveniste)" والذّي نظر فيه إلى الخطاب نظرة أكثر شمولية واتساعاً، عندما دعا إلى ظرورة " أن يفهم الخطاب بأوسع معانيه على أنه كل ملفوظ يفترض متكلّماً ومستمعاً، وفي نية الأول التأثير على الثاني بأية طريقة" [Benveniste E. 1966, p. 241-242].

فالمتأمل في هذا التّعريف يجد أن "بنفنست" قد ربط مفهوم الخطاب بمجموعة من الضوابط التي يمكن استنباطها على النحو التالي:

1- الخطاب ملفوظ: أي أنه بناء يتألف من مجموعة من الوحدات اللغوية المترابطة والمنسجمة، والتي تتخذ من الجملة أساساً لها وهو الجانب الشكلي للخطاب.

2- الخطاب مسار تواصلي: فهو فاعلية وممارسة، أي إنه مجموعة من الوحدات اللّغوية التي تنشأ في سياق محدد، يتشكل قطباه من المرسل والمرسل إليه (المتكلم/السامع) ومجموع الظروف المؤطرة للعلاقة الجامعة بينهما، فالخطاب أذن هو وحدة تفاعلية تواصلية.

3- الخطاب هو علاقة موجهة، قائمة على تحقيق مقصدية معينة، مخطط لها سابقا، فكل خطاب يُبنى بالأساس على غاية أو هدف، وهي تأثير المرسل في المرسل إليه بطريقة معينة.

4- الخطاب مسار تواصلي متعدد المقاصد: فتأثير المرسل في المرسل إليه لا يتوقف عند هدف واحد، بل إن المقاصد والأهداف تتنوع وتختلف باختلاف عناصر السياق.

5- الخطاب هو علاقة متنوعة الاستراجيات، فهي تتعدد بتعدد المقاصد والأحوال، فما يصلح لاستمالة مرسل معين، قد لا يجدي التأثير في متلقٍ آخر.

وبهذا يكون "بنفنست" – ومن سار على نهجه من التداوليين – قد جمعوا بين منهجين اثنين: المنهج الشكلي والمنهج الوظيفي ، فتعريفه "يتجاوز وصف الخطاب وصفاً شكلياً، وعدم الاكتفاء بالوقوف عند بيان علاقة وحدات الخطاب ببعضها البعض وتحليلها، والدعوة إلى ظرورة الاعتناء بدور عناصر السياق ومدى توظيفها في انتاج الخطاب وفي تأويله" [Haj Hammou D., 2012, p. 38]، مما يفضي إلى أن الخطاب إنما هو جمل سياقية موجهة.

وهي الفكرة ذاتها التي انطلق منها "طه عبد الرحمن" عندما أكد أن الكلام إنما هو أصل كل عملية تواصلية، حتى وإن ظهرت عملية التواصل قائمة في بعض الأحيان على علامات غير لغوية، فكلما وقفنا على لفظ كلام " تبادرت إلى أذهاننا دلالته على معنى "التواصل"، حتى وإن كان ما سواه من وسائل التواصل المعلومة، إما حركات ملحوظة أو إشارات مبثوثة أو رموز منظومة، تبدوا لنا موضوعة على قانونه ومفهومه على مقتضاه، أو قل إن الكلام أصل في كل تواصل كائنا ما كان" [Yaqtin S., 1997, p. 213].

والكلام عند طه عبد الرحمن ليس كل ملفوظ ينطق به المتكلم، وإنما هو فعل مقصود بالأساس، موجه إلى الغير الذي يشترط فيه الاستعداد لفهم هذا الكلام والذي قصده المتكلم دون غيره، فكل منطوق يجب أن يتوفر فيه:

-الشرط الأول: التّوجه إلى الغير: "إذ لا يكون كلاماً حقاً حتى تحصل من الناطق إرادة توجيهه إلى غيره، وما لم تحصل منه هذه الإرادة فلا يمكن أن يعد حقاً متكلماً، حتى ولو صادف ما نطق به حضور من يتلقف مقصوداً بمضمونه هو... فالمتلقي هو عبارة عن المتلقّف الذي قصده المُلقي بفعل إلقائه" [Yaqtin S., 1997, p. 214] وعلى هذا الأساس فإن عملية التلفظ بالكلام هي عملية مخطط لها مسبقاً، ومن الضروري على المتكلم أن يحدد مستمعه إن كان الكلام حديث نفس، وإلا لم يعد متكلماً حتى وإن صادف مُستمعاً بالصدفة.

وأشار طه عبد الرحمن في سياق شرحه لمفهوم التكوثر، والذي قال عنه بأنه فعل قصدي، و"المعلوم أن القصد توجه وللتوجه خاصيتان أساسيتان:

أ- أنه حدث لا كثافة فيه ولا ثقل... فيكون أقوى الأمور وأوسعها مجالاً.

ب- أنه ليس ذاتاً، وإنما علاقة وكل علاقة تدعو إلى مقابلتها، إن مثلاً أو ضداً" [Yaqtin S., 1997, p. 22].

- الشرط الثاني: إرادة إفهام الغير: "إذ لا يكون المنطوق به كلاماً حقاً حتى تحصل من الناطق إرادة إفهام الغير ... فالفاهم هو عبارة عن الملتقط الذي قصده المفهم بفعل إفهامه" [Yaqtin S., 1997, p. 214].

وعلى هذا فإن المنطوق لا يمكن أن تطلق عليه صفة الكلام ما لم يقترن بهذين الشرطين: شرط التوجه إلى الغير، وشرط القصد وهو إفهام المتلقي، ليؤدي في النهاية هذا الكلام وظيفة أولى وهي التواصل، والتي من خلالها يمكن أن نسمي هذا التأليف

خطاباً، والذي لا يخرج عن كونه كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً معيناً وبصورة مخصوصة، مما يفضي إلى أن تسمية الخطاب بالعلاقة التّخاطبية القائمة على مجموعة من الضّوابط، "فحقيقة الكلام ليست الدّخول في علاقة بألفاظ معيّنة بقدر ما هي الدخول في علاقة مع الغير" [Yaqtin S., 1997, p. 214].

هذه الرؤية المتسعة نوعاً ما للخطاب، والتي أفرزت كثرة التعاريف وتداخلها، وتضاربها أحياناً أخرى، وعلى رأسها مفهوم النص، الذي عرفه محمد مفتاح بأنه "مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة" [Abdurrahman T., 2006, p. 119]، هذا التعريف يتقاطع مع التعاريف التي قدمها الوظيفيون لمصطلح الخطاب.

هذا التداخل نبّه إليه الكثير من الباحثين على غرار "فان ديك"، عندما عقد مقارنة بين الخطاب والنص محاولاً "تحديد الفروق بينهما، ووضع شروط لكل منهما، فالخطاب هو الفعل المنجز بحضور أركانه (المتكلم، مخاطب) أما النص فيشمل الخطاب ويمثل بنية، وتختلف اللغة المستعملة في انجازهما، كما أن النص عنده لا يمكن أن يحدد على مستوى واحد، بل من الضروري أن يحلل على مستويات عديدة، تركيبية، دلالية، تداولية" [Miftah M., 2005, p. 16]، وكأن الفرق الكامن بين المفهومين مرتبط أساساً بشقين اثنين هما:

- مستوى التحليل:

فالخطاب لا يمكن تحليله بمعزل عن مقامه وظروف انتاجه، لأنه فعل منجز في موقف معين، أما النص فمجرد من كل هذه العوامل، الأمر الذي يفضي إلى أن الخطاب أوسع من النص، فهو موقف يتسع لعرض ملابسات إنتاجه وتلقيه وتأويله، كما يمكن أن تتسع لغته إلى ما خارج اللغة، إذ "ينتج الخطاب بعلامات غير لغوية، كما هو الحال في التّمثيل الصّامت، أو الرّسم الكاريكاتوري، أو الخطاب الإعلاني التّجاري، الذي قد يقتصر على استعمال علامات غير لغوية" [Haj Hammou D., 2012, p. 39].

ومهما يكن من أمر، وبعيداً عن كل هذه التقاطعات، فإنه يمكن القول إن الخطاب لا يعدو أن يكون فعلاً تواصلياً موجه، فهو "كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً مع تحقيق أهداف معينة" [Haj Hammou D., 2012, p. 49] ليستوي بذلك الخطاب بوجهيه المكتوب والشفهي، كما يستوي المرسل إليه الحاضر والمستحض، كما يمكن "أن يكون جملة نواة، وقد يكون جملة مركبة، وقد يكون نصاً ولربما أصغر من هذا أو أكبر، فالخطاب مقام يتصل بالحالة التي يجري فيها، وبالظروف التي تحيط به من الخارج وتتقاطع معه من الداخل" [Yaqtin S., 1989, p. 42].

إن الظروف المحيطة بعملية إنتاج الخطاب وتلقيه منها ما هو نفسي، ومنها ما هو اجتماعي، وهذا ما يعرف بالسياق الذي جعله "جاكوبسون" قطباً رئيساً في عملية التخاطب، والتي بنى عليها حده للخطاب الذي هو حدث لغوي يتضمن رسالة وأربعة عناصر مرتبطة ببعضها البعض، هذا الاتصال القائم على التفكير والقصد يتم من خلال الاتفاق بين أفراد بيئة لغوية محددة، مما يجعل عملية التواصل بينهم " استجابة أو مسلك يحدث بناء على منبه أو أكثر ... ويكون للإنسان من ورائه غرض أو أغراض يقصد إليها" [Haj Hammou D., 2012, p. 22].

ويمكن توضيح دورة التخاطب*، التي رسم معالمها "جاكوبسون"على النحو التالي:

مخطط يبين دورة التخاطب عند رومان جاكوبسون:

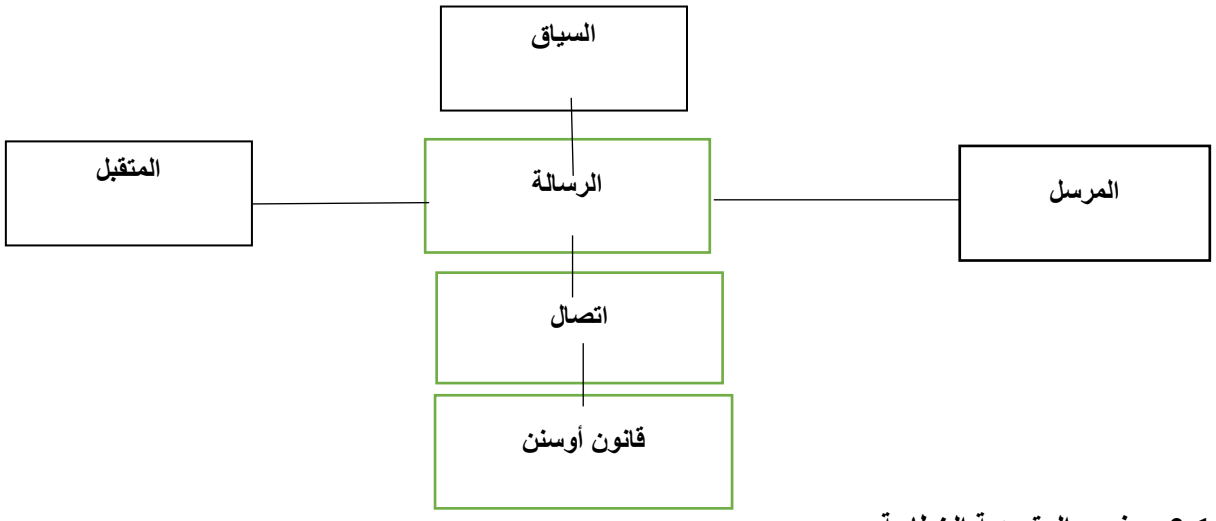

2-1 - مفهوم المقصدية الخطابية:

من المفاهيم التداولية الأكثر استعمالاً مصطلح المقصدية، لذلك سنعمد من خلال هذا المبحث إلى تقصي هذا المفهوم، وربطه بالمصطلح الأكثر اقترانا به، ونقصد بذلك مصطلح الخطاب، محاولين قدر المستطاع الاقتصار على المفاهيم الأكثر توافقاً مع مسار بحثنا.

يمكن أن نقف على تفطن العلماء العرب، لغويين وبلاغيين لمفهوم المقصدية باكراً ببعدها اللساني، عندما ربطوا هذا المصطلح بمفهوم العقل والتوجيه، المرتبط بالممارسة والاستعمال، والحكم القائم على التفريق بين الشيء وضده، في الوقت الذي حصر فيه نُحاتنا القدماء تصورهم للقصد ب" الغاية التواصلية التي يريد المتكلم تحقيقها من الخطاب (ف) مراعاة الغرض من الكلام (هي) قرينة تساعد على تحديد الوظيفة النحوية للكلمة، وبيان دورها في التحليل النحوي للجملة" [Murtad A. J., 2003, p. 200-201].

ولما كان الخطاب نشاطا تواصلياً موجهاً لتحقيق هدف معين لذلك فقد أجمع عدد من الباحثين على أن التوجه إلى تحقيق الهدف هو ما يجعل الخطاب فعلاً لغوياً، ويتكون الهدف من مستويين، أولهما نفعي والذي يقع خارج الخطاب كتحقيق الأهداف الاجتماعية كالتوعية مثلا، أو الأهداف التعليمية كتنمية قدرات المتعلمين وتطويرها ...إلخ، وثانيهما المستوى الكلي والذي يتجسد في الفعل اللغوي الذي يمارسه المرسل من خلال عملية التلفظ بغض النظر عما إذا كان قد نجح في تحقيق الهدف النفعي أم لا.

ونعني ببلورة هذه الأهمية ومعالجتها، المناهج الوظيفية التي تحاول أن ترصد تداولياً أهداف مستعمل اللغة، التي يحققها من خلال أشكال لغوية معينة، إيماناً منهم بأن "اللغة سلاح من أخطر أنواع الأسلحة النفسية للسيطرة على الأفكار والأشياء ... ففي الانتخابات السياسية والمحاكم غالباً ما يكون الجانب الظافر أقدر الجانبين على استخدام اللغة" [Haj Hammou D., 2012, p. 102].

ولا تقتصر أهمية الهدف على مجال تحليل الخطاب ذاته بل إن الهدف عنصر مهم من عناصر الدرس اللغوي، إذ نجده حاضراً في بعض الأبواب النحوية والصرفية والبلاغية، بدءاً من تعريف اللغة ذاتها، بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، فالغرض من اللغة هو في الأساس هدف يدفع المتكلم إلى تحقيقه، سواء تعلق الأمر بالإخبار أو الاستخبار، "فاللّغة إفادة وإخبار قبل كل شيء، ووظيفتها تتحدد لتلك العلة بالطاقة الإبلاغية" [Sahraoui M., 2005, p. 33].

وبما أن الكلام هو جسر لمقاصد المتكلمين، كانت البلاغة من منظور العسكري "كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن" [Ibn Jinni, p. 214] وهذا "الجرجاني" قد ربط البلاغة بإبلاغ المتكلم مقاصده بالإبانة عنها بطرق يختارها هو دون غيره، مما يجعل هذا المفهوم مرتبطاً أساساً بالكلام والمتكلم دون الكلمة ، فبلاغة الكلام هي مطابقة للمقام (حال الخطاب)، ويراد بهذا الأخير "ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب من المتكلم على وجه مخصوص، ولا يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين، واعتبار طبقاتهم في البلاغة، وقوتهم في البيان والمنطق...أما بلاغة المتكلم فهي" ملكة في النفس يقتدر بها صاحبها على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال مع فصاحته في أي معنى يقصده" [Al-Masadi A. S., 1986, p. 32-34]. وبهذا يكون الجرجاني قد جعل البلاغة قائمة على قواعد أهمها: الملكة اللغوية، مراعاة التأليف، مراعاة الحال، الغاية وهي إفادة المقصود. فهي تقوم على مبدأ الاتصال واستخدام اللغة استعمالا سليماً، يضمن وصول المعنى إلى المخاطبين، هي في نفوس المتكلمين، بحسب اختلاف أحوالهم ومقاماتهم، هي أيضاً لسان حال الجاحظ الذي دافع عنها في أكثر من موضع، وجعلها مدار كل قول، لذلك فقد قسم النحاة الكلام إلى عدة أقسام بلغت حوالي ستة عشر قسما، بحسب الهدف المرجو من الخطاب، كالأمر، والنهي، الاستخبار، الطلب، الجحود، التمني، القسم، ... إلخ.

كما نجد السيوطي قد ربط الكلام بشرط الإفادة، عندما قال بأنه "يطلق على كل ما يفيد سواء استخدم لإفادة اللغة في تركيب صوتي أو كتابي، أو لم يستخدمها اكتفاء بدلالات خارجية، أو الاستدلال من الموقف والمقام" [Al-Hashimi A., p. 71] في الوقت الذي تساءل فيه آخرون عن مدار هذه الإفادة، فيما إن تعلقت بإفادة المخاطب بما يجهل أم لا، وفي اشتراط قصدية المتكلم المسبقة من عدمها، وإن كان أكثر النحاة يجعلون الجملة أعم من الكلام، وعليه فهم يشترطون للكلام أن يكون مفيداً فائدة تامة يحسن السكوت عليها، لأن الجملة قد تكون أحياناً غير مفيدة على غرار جملة الشرط وجملة جوابها... إلخ ، فهذه جمل تجاوزاً فقط.

كل هذا يؤكّد أسبقية الدّرس اللّغوي العربي في الاهتمام بالمقاصد الخطابية، في علاقتها بالتداول اللّغوي، والقائمة على التّوظيف الخاص والمثمر للغة الخطاب، انطلاقا من فرضية أن المقاصد هي لب العملية التواصلية بين المرسل والمرسل إليه، لا وجود لتواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل، فالقصدية هي من "تسند القول قيمة العمل" [Abu Al-Makarim A., 2006, p. 10] لذلك فإنّ المرسل إنّما ينجز أفعاله اللّغوية تضميناً لهدف يريد الوصول به إلى دائرة الإنجاز سواء أكان نفعياً أو كلياً. لذلك فقد كان لزاماً على طرفي الخطاب من خلال التفاعل الحاصل بينهما، جعل ملفوظاتهم ذات علاقة بأهدافهم التّخاطبية، وبالتالي أهدافهم الشّخصية، إذ يحاول المرسل أن ينحو صوب تحقيقها، باستثمار علامات لغوية أو

غير لغوية بطريقة مخصوصة ، كما يحاول المرسل إليه أن يخمّن هذه العلاقة، وليس بالضرورة أن يشترك الطرفان في الأهداف نفسها، ولكن الهدف الوحيد الذي يجب عليهما أن يشتركا فيه هو التعاون ليتحقق عنصر التفاعل والتواصل.

ولقد أشار طه عبد الرحمن في كتابه "في أصول الحوار" إلى مفهوم القصد من زاوية كلامية فلسفية لا تختلف كثيرا عن تلك التي قدمها "غرايس"، ظمن نظريته حول أغراض اللغة، جاعلا القصد فعلا تواصلياً قائما على ضوابط وشروط، ومن ذلك تجاوب المرسل إليه مع قصد المرسل، الذي هو ملزم بتوجيه هذا القصد إليه ودفعه إلى التفاعل معه بطريقة أو بأخرى (مبدأ التعاون) إذ أنّ "قول القائل لا يمكن أن يفيد شيئاً إلاّ إذا قصد القائل ... أن يدفع قوله إلى نهوض " المقول له" بالجواب، وأن يعترف "المقول له" على هذا القصد، وأن يكون انتهاض "المقول له" بالجواب مستنداً إلى تعرفه على قصد القائل" [Abdurrahman T., 1994, p. 45].

ويُنزل "طه عبد الرحمن" المقصدية الخطابية منزلة المحور في عملية التواصل البشري بصفة عامة، الأمر الذي يفضي – من منظوره - إلى تعدد هذه المقاصد وتداخل مستوياتها، المرتبطة أساسا بتغيّر وضعية المتكلّم (القائل) كأن يميز بين "قصد الخبر وقصد صدق الخبر ... وقصد الإخبار، وقصد التأثير وما إليها..." [Abdurrahman T., 1994, p. 46] وهي الفكرة ذاتها التي أشار إليها البلاغيون العرب القدامى، في أكثر من موضع، عندما جعلوا البلاغة مقترنة بشرط الإفادة والتأثير في المستمع، واستمالته عقليا وعاطفيا، حتى تتلاحم حلقات عملية التواصل والتبادل الفكري بين المتكلم والسامع.

وعلى هذا فإن نقاط التقاطع المتحققة بين البلاغة العربية والبلاغة الجديدة، هي مراعاة سياق التخاطب وأوضاع المتخاطبين، جاعلين الاستعمال منطلقاً ينقل اللغة من صورتها التجريدية إلى أنماط تواصلية تضطلع بوظائف متعددة حتى أمكن "نعت البلاغة بفن القول"، [Abdurrahman T., 1992, p. 123] هذا القول الذي يتحقق بالآداء الفعلي القائم على استثمار مستويات اللغة المختلفة.

لذلك فقد كان حرياً على طرفي التخاطب معرفة نظام اللّغة الذي يؤطّر العملية التّواصلية بينهما، وهذه المعرفة لا تقتصر على معرفة النّظام العام فقط، الذي يحيلنا على المعنى الحرفي للخطاب، وإنما الإلمام بظروف استعمالها، حتى ينتهي المرسل إلى فهم مقاصد الخطاب غير المباشرة، حتى وإن اضطر المرسل أحياناً إلى الخروج عن هذا النّظام، باللّجوء إلى الخيال أو البيان، أو استعمال الاستفهام للاستخبار...إلخ.

وبما أن المرسل يتمتع بهذه المساحة الواسعة من الخيارات التي تمكنه من المناورة بكلامه، دون التقيد بالمعنى الحرفي، فقد اهتمت الدّراسات التداولية بدراسة السبل والوسائل التي يمكن للمرسل أن يسلكها في خطابه لتحقيق أغراضه ومقاصده التواصلية، وأطلقت عليها مصطلح الاستراتيجية، فما هي الاستراتيجية الخطابية؟

الاستراتيجية مصطلح نشأ في أوساط عسكرية بالأساس، ويطلق عموماً على الطّرق والخطط الموضوعة من طرف الهيئات العسكرية لتحقيق أهدافها وسياستها الدفاعية أو الهجومية، ولكن سرعان ما تسرب هذا المصطلح، بل وكثر استعماله في العديد من أواسط وميادين المعرفة في مختلف الثقافات، ومن بينها الثقافة العربية، التي تبنت هي الأخرى هذا المصطلح بلفظه الدخيل هذا.

ويكتسي هذا المصطلح معان ودلالات متقاربة، لا تخرج عن معنى التخطيط والتدبير لتحقيق هدف معين أو التحكم في وضع ما، فهي مجموع الطرق المتبعة لتناول مشكلة معينة أو القيام بمهمة من المهمات، وعليه فالاستراتيجية هي عملية ذهنية تتحقق على أرض الواقع انطلاقاً من الفاعل الرئيس الذي يتولى في البداية تحليل الظروف والملابسات المحيطة بهذه المهمة، ليتم انتقاء الإمكانات والسبل التي تضمن بالفعل تحقيق هذه المهمة، وبلوغ الأهداف المسطرة مسبقاً.

فالبعد التخطيطي الذي يعتمد العَقْلَ هو الأَساس، ويكمله بالبعد المادي، هو بعد إجرائي يهدف ويسعى إلى تنفيذ الاستراتيجية وتحقيقها فعلاً، وعلى هذا فالاستراتيجيات تتعدد وتتنوع بتنوع الظروف المحيطة "فما يكون مناسباً في سياق معين، قد لا يكون كذلك في سياق غيره، وبهذا فإن تغيير بعض العناصر يستتبع تغيراً في الاستراتيجية المنتقاة لتحقيق الهدف، فلا ينحصر فعل الفاعل في استعمال استراتيجية واحدة ثابتة دوما" [Haj Hammou D., 2012, p. 53] وكان لزاماً على الفاعل فقه هذه الخصوصية، وهي "محاولة التكيف مع عناصر السياق المحيط بالفعل" [Haj Hammou D., 2012, p. 55].

واستراتيجية الخطاب هي الأخرى لا تخرج عن هذا المفهوم العام، فمنتج الخطاب لا ينتج خطابه بطريقة عفوية تلقائية، بل يخطط مسبقاً له، باستثمار مستويات اللغة، واستعمالها بطريقة مخصوصة ومكيفة مع عناصر السياق، فهو يخطط لكيفية انتاجه وكذا سبل إيصاله إلى متلقيه بالصورة التي رسمها مسبقاً، فالخطاب المنجز يكون مخططاً له بصورة مستمرة وشعورية "وهنا يصبح التفكير الذهني القائم على تحليل السياق لانتقاء أنسب الاستراتيجيات عملاً ضرورياً" [Haj Hammou D., 2012, p. 56].

وعليه فإن انتقاء الاستراتيجية المناسبة، هي مجموع الامكانات المنتقاة من طرف المرسل لإنتاج خطابه، بما يعبر عن مقاصده ويحقق فائدته وأهدافه، بتوظيف علامات لغوية وغير لغوية وفقاً لما يقتضيه السّياق – سياق التلفظ بالخطاب – وعناصره المختلفة، وهو أمر لا يتأتى إلا إذا تمتع هذا المرسل بمجموع ملكات أُطلق عليها تداولياً بالكفاءة التداولية، إذ "لا يمكن الاكتفاء

بالملكة النّحوية، ذلك أنه تضاف إليها الملكة التداولية التي تنطوي على قواعد تسمح للمتكلم بتأويل ملفوظ بالنسبة إلى سياق معين" [Al-Shahri A. H. B. Z., 2004, p. 27] والتي تتسع لتشمل جملة من المواصفات التي تمكن المرسل من:

1- إدراك السياق الذي يجري فيه التواصل بكل أبعاده المؤثرة.

2- تحديد العلاقة بين السياق والعلامة المستعملة، ليتم اختيار الاستراتيجية الخطابية الملائمة.

3- التّلفظ بالخطاب [Haj Hammou D., 2012, p. 63]، كمرحلة أخيرة تتبلور من خلالها المراحل السابقة.

إذا سلّمنا أنّ الخِطاب هو نصٌ منتجٌ في موقفٍ معيّن وظروف نفسية واجتماعية وخلفيات ذهنية خاصة، فإن عملية تأويله لا يمكن أن تتم بالصورة المقاربة لما توخاه صاحبه إلا في إطار منسجم، يتم فيه ربط الوحدات المشكلة له، بالظّروف التي ولد فيها الخطاب، وبذلك فكّ شفرة هذه الرّوابط، اعتماداً على تقنيات تتنوّع بتنوّع أطروحات ونظريات المدرسة التداولية الواسعة الآفاق.

لذا فإننا نجد أنصار هذا التيار لا ينطلقون من السّمات الثابتة للّغة، إيماناً منهم أن اللّغة ليست وصفاً للواقع، فهم بذلك لا يدرسون اللّغة لكشف خواصها وبناها بقدر ما هي تغيير لهذا الواقع، ودفع لذلك المتلقي، فهم يدرسون تبعاتها وآثارها الفعلية أو المحتملة، وهو ما دفع بهم إلى التركيز على الجانب التفاعلي للّغة، موقنين أنها تأدية واستعمال في ظروف معينة، فكان عليهم والحال هذه أن يدرسوا هذه الاستعمالات الفردية للّغة، محللين استراتيجيات إنتاجها وسبل فهمها وتأويلها، ولكن في إطارها العام الذي نشأت فيه، مركزين أكثر على الطبيعة الاجتماعية لهذا النظام، والمرتبطة أساساً بشروط التواصل.

لذلك فإننا نجدهم يؤولون الخطابات المختلفة وهم يربطونها بالبعد الاجتماعي، والخلفية الذهنية والإيديولوجية التي انطلقت منها لتعبر عنها، وهو ما حوّل اهتمام الدارسين من اللغة إلى الكلام الذي لا يتحقق إلا في سياق ه الاجتماعي، فكلّ متكلم – من منظورهم – إلا ويحمل أفقاً اجتماعياً معيناً، يعينه على انتاج خطاب يساير خصوصيّةً هي البُنى الاجتماعية، فكل خطاب هو في حد ذاته إيديولوجيا لا يمكن فهمها وتأويلها إلا إذا ربطت بمنشئها من جهة، وبسياقات استعمالها من جهة أخرى، "فاللّغة لا تنكشف من داخلها فحسب، بل تنكشف أيضاً في علاقتها بالمتكلم والمجتمع" [Fadl S., 1992, p. 12].

إنّ أهمّ خاصية يتميّز بها السّياق، هي خاصيّة الدّيناميكية المحرّكة، التي تتولّد من التغييرات المتتالية لأحوال الكلام، التي تشمل "المكان والزمان، طبيعة النص، ومجمل الظروف المحيطة بعملية التواصل" [Paveau M. A., Sarfati G. É., . 2003, p. 102)] وهو ما لا يجعل السياق "مجرد حالة تلَفُظ، وإنما هو على الأقل متوالية من أحوال التلفظ... (إذ إنّ) كل سياق هو عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث" [Nasif M., 1977, p. 258].

وعلى هذا فالكفاءة التداولية هي نسق مركب من مجموع القدرات التي تسمح للمرسل بإنتاج خطاب ملائم وناجح، وما على المرسل إلا فهمه وتأويله تأويلاً صحيحاً، يوافق السياق، وقد حصر التّداوليون هذه القدرات في خمس ملكات هي:

-الملكة اللّغوية: وتتيح للمرسل انتاج بنية لغوية معقدة في مواقف متعددة وتأويلها.

-الملكة المنطقية: تُمَكِّنُ من توليد معارف جديدة اعتماداً على عمليات استدلالية معقدة.

-الملكة المعرفية: وهي القدرة على اشتقاق وتخزين واستحضار عبارات لغوية في الأوقات المناسبة.

-الملكة الإدراكية: تُمكّن المتكلم من تكييف معارفه، اعتماداً على إدراكه للمعطيات المحيطة بالخطاب.

-الملكة الاجتماعية: وتتيح للمرسل استعمال اللّغة الطبيعية في مواقف تواصلية معينة، لتحقيق أهداف تواصلية مخصوصة.

وبناء على هذا فالكفاية اللغوية التي قال عنها تشومسك (Chomsky.N) أنها غير كافية، لأن مستعمل اللّغة لا تقتصر قدراته على معرفة الجوانب النحوية في اللغة، بل تتعدّاها إلى إنتاج خطابات مناسبة لأنماط تواصلية مختلفة.

وقد أثارت الأستاذة "نور الهدى باديس" في مؤلفها الموسوم: "بلاغة الوفرة وبلاغة الندرة"، نقطة مهمة تجعلنا نطرح أسئلة ربما تفتح آفاقاً أخرى لدراسة خبايا "القصد"، حينما تحدثت عن خاصية وملكة يجب أن تتوفر في المتكلم البليغ وهي "الاحتراز عن الخطأ" في مطابقة مقتضى الحال، وهي – على حسبها – "من أبرز الصفات التي يحوزها المتكلم عندما يصبح قادرا على اختيار سبل التعبير التي تضمن له ما يقتضيه التخاطب من ضرورة أن تكون البنية مراعية للمعنى والمقصد الذي إليه قصد المتكلم" [Van Dijk T. A., 2000, p. 99].

وهذه الفكرة التي تفتح لنا آفاق البحث وتطرح أسئلة تحتاج إلى مزيد من التحليل والتنقيب، هي فكرة " مقاصد الأغراض البلاغية" [Badis N. H., 2019, p. 63]، من إيجاز وإطناب وغيرها ... إضافة إلى طرق التمرس في فن القول وأغراضه الدلالية.

الخاتمة. تعد الدراسات التداولية – كما هو معروف – اتجاها مستقلا نتجت ضمنه العديد من النظريات اللّسانية التي اهتمت بتفعيل وظائف اللغة، انطلاقاً من اهتمامها بالمقصدية الخطابية في علاقتها بالسياق وعناصره وجملة المحددات التي تؤطر

العلاقة بينهما، فكان الاهتمام بهذا الطرح واضحاً جلياً عند الغرب لا ينكره إلا جاحد، تتزاحم في ساحته النظريات وتتلاحق، حتى يخيل للمتبع أن هذا الفكر ولد وترعرع في هذه البيئة، وأنّ القول بأسبقية أهله بداهة لا تقبل النقاش.

اهتمام الدارسين العرب القدماء بدراسة مقاصد المتكلمين وأحوال المخاطبين وتأثيرهم على طريقة صياغة الجملة تقديما وتأخيرا، يؤكد أنّه قد سبق التداوليين المعاصرين الذين بنوا أطروحاتهم التحليلية على نفس المبدأ، عندما جعلوا القصدية ركنها الركين، وهو ما أطلق عليه القدماء (الجرجاني وغيره)، "النية"، في معرض حديثهم عن هذه الأساليب العدولية ووظائفها التواصلية، التي قرنوها أساساً بمعرفة غرض المتكلم وقصده من الكلام.

نظرة البلاغيين العرب إلى عملية الفهم والتأويل نظرة وظيفية تنبني أساسا على عملية الحكم على الملفوظ، ويمكن إدراجها في سياق ما يعرف ضمن نظرية "أوستين" بالفعل الكلامي، باعتبار أنّ عملية الحكم على خطاب معين لا تظهر فقط على مستوى فهم دلالته والوقوف على مقاصد المتكلم، بل تتجاوز ذلك إلى جملة الانفعالات التي يولدها الملفوظ في نفس السامع الذي سيتحرك لا محالة للحكم عليه بالاستحسان أو الاستهجان أو غير ذلك.

يستلزم في البحث عن القصد، البحث عن المعنى، لأنّ النظر في كلام الباعث يترتب عنه عنصران، القصد الذي يخص الباعث والمعنى الذي يتشكل من خلال لغته، وهذا ما يسبب مغالطة إذا ما تعلق الأمر بالتلقي، وتتشكل المعاني التي تعرف بقصد النص من خلال فهمه أو تأويله على قصد المتلقي وغرضه، لذلك تختلف القراءات وتتباين الفهوم، وغالباً ما يبتعد القارئ عن قصد الكاتب، أو السامع عن قصد المتكلم، ويكتفي بما فقهه واقتنى من معانيه، ويستدعي فهم قصد الباعث التسلح بآليات تكون بمستوى آلياته أو تفوقها، كما توضع المؤشرات والعلامات السيميائية في الحسبان.

References:

1. Abdurrahman, T. (1992). On the foundations of dialogue and the renewal of kalam theology. Fī uṣūl al-ḥiwār wa tajdīd ʿilm al-kalām (4th ed.). – Arab Cultural Center. 123 p. (in Arabic)
2. Abdurrahman, T. (1994). Communication and argumentation. Al-tawāṣul wa al-ḥijāj. Matbaʿat Al-Maʿarif Al-Jadida. 45, 46 p. (in Arabic)
3. Abdurrahman, T. (2006). The tongue and the balance or intellectual abundance. Al-lisān wa al-mīzān aw al-takāthur al-ʿaqlī (2nd ed.). Arab Cultural Center. 119 p. (in Arabic)
4. Abu Al-Makarim, A. (2006). Linguistic phenomena in the grammatical heritage. Al-ẓawāhir al-lughawiyyah fī al-turāth al-naḥwī (1st ed.). – Dar Gharib for Printing, Publishing and Distribution. 10 p. (in Arabic)
5. Al-Amidi, S. D. (1986). Al-Iḥkām fī uṣūl al-aḥkām (S. Al-Jumayli, Ed., 2nd ed., Vol. 1). Dar Al-Kitab Al-Arabi. 3 p. (in Arabic)
6. Al-Habasha, S. M. (2011). Stylistics and pragmatics: An introduction to discourse analysis Al-uslūbiyyah wa al-tadāwuliyyah: Madkhal li-taḥlīl al-khiṭāb. – Alam Al-Kutub Al-Hadith. 79 p. (in Arabic)
7. Al-Hashimi, A. (n.d.). Jewels of rhetoric in meanings, al-bayān and rhetoric. Jawāhir al-balāghah fī al-maʿānī wa al-bayān wa al-badīʿ (12th ed.). Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi. 71 p. (in Arabic)
8. Al-Jahiz, A. B. (1998). Al-Bayān wa al-Tabyīn (A.S. Harun, Ed., 7th ed., Vol. 1). – Maktabat Al-Khanji. 92 p. (in Arabic)

9. Al-Juwayni. (1979). Al-Kāfiyah fī al-jadal (F. H. Muhammad, Ed.). Matbaʿat ʿIsa Al-Babi Al-Halabi. 136 p. (in Arabic)

10. Al-Masadi, A. S. (1986). Linguistic thought in Arab civilization. Al-tafkīr al-lisānī fī al-ḥaḍārah al-ʿArabiyyah (2nd ed.). Arab Book House. 32, 33, 34 p (in Arabic)

11. Al-Shahri, A. H. B. Z. (2004). Discourse strategies. Istirātījiyyāt al-khiṭāb (1st ed.). – Dar Al-Kitab Al-Jadid Al-Muttaheda. 34 p. (in Arabic)

12. Badis, N. H. (2019). The rhetoric of abundance and the rhetoric of scarcity: A study of brevity and elaboration. Balāghat al-wafrah wa balāghat al-nadrah: Mabḥath fī al-ījāz wa al-iṭnāb (2nd ed.). Tunisian House for the Book. 63 p. (in Arabic)

13. Benveniste, E. (1966). Problems in general linguistics. – Gallimard. 241, 242 p. (in French)

14. Dubois, J., et al. (n.d.). Dictionary of linguistics. Larousse. 156 p. (in French)

15. Fadl, S. (1992). The rhetoric of discourse and text linguistics. Balāghat al-khiṭāb wa ʿilm al-naṣṣ. World of Knowledge Series. 12 p. (in Arabic)

16. Haj Hammou, D. (2012). Enunciation linguistics and discourse pragmatics. Lisāniyyāt al-talaffuẓ wa tadāwuliyyat al-khiṭāb. Dar Al-Amal for Printing, Publishing and Distribution. 22, 38, 39, 48, 53, 55, 56, 63, 79, 102 p. (in Arabic)

17. Hammadi, I. (1994). Legal discourse and methods of its utilization. Al-khiṭāb al-sharʿī wa ṭuruq istithmārihi (1st ed.). – Arab Cultural Center. 32 p. (in Arabic)

18. Ibn Jinni. (n.d.). Al-khaṣāʾiṣ (M. A. Al-Najjar, Ed.). Dar Al-Kitab Al-Arabi. 214 p. (in Arabic)

19. Ibn Manzur. (1994). Lisān al-ʿArab (3rd ed., Vol. 7). Dar Sader. 1994,1995 p. (in Arabic)

20. Irsh, I. (1994). On the limits of invoking the sacred in worldly matters: Methodological notes. Ḥawl ḥudūd istiḥḍār al-muqaddas fī al-umūr al-dunyawiyyah: Mulāḥaẓāt manhajiyyah. Al-Mustaqbal Al-Arabi, 80. 5 p. (in Arabic)

21. Religious Discourse. Khitabu shar'iy. 21 p. (in Arabic)

22. Maingueneau, D. (2008). Key terms for discourse analysis. Al-muṣṭalaḥāt al-mafātīḥ li-taḥlīl al-khiṭāb (M. Yahyaten, Trans., 1st ed.). Arab Scientific Publishers. 40 p. (in Arabic)

23. Meliza, S. (2004). Discourse. Al-Khiṭāb (Y. Baghloul, Trans.). Publications of the Translation Laboratory in Literature and Linguistics, Mentouri University. 102, 104, 106 p. (in Arabic)

24. Miftah, M. (2005). Analysis of poetic discourse: Intertextuality strategies. Taḥlīl al-khiṭāb al-shiʿrī: Istirātījiyyāt al-tanāṣṣ (4th ed.). Arab Cultural Center. 16 p. (in Arabic)

25. Murtad, A. J. (2003). Language and communication. Al-lughah wa al-tawāṣul. – Dar Houma for Printing, Publishing and Distribution. 200, 201 p.(in Arabic)

26. Nasif, M. (1977). Dialogues with Arabic prose. Muḥāwarāt maʿa al-nathr al-ʿArabī. World of Knowledge Series. 258 p. (in Arabic)

27. Paveau, M.-A., & Sarfati, G.-É. (2003). The major theories of linguistics: From comparative grammar to pragmatics (p. 203). Armand Colin. 102 p. (in French)

28. Sahraoui, M. (2005). Pragmatics among Arab scholars: A pragmatic study of speech acts in the Arabic linguistic heritage. Al-tadāwuliyyah ʿinda al-ʿulamāʾ al-ʿArab: Dirāsah tadāwuliyyah li-ẓāhirat al-afʿāl al-kalāmiyyah fī al-turāth al-lisānī al-ʿArabī (1st ed.). – Dar Al-Tali'a. 33 p. (in Arabic)

29. Van Dijk, T. A. (2000). Text and context: Explorations in semantic and pragmatic discourse analysis. Al-naṣṣ wa al-siyāq: Istiqaṣāʾ al-baḥth fī al-khiṭāb al-dilālī wa al-tadāwulī (A. Qnini, Trans.). Ifriqiya Al-Sharq. 99 p. (in Arabic)

30. Yaqtin, S. (1989). The openness of the narrative text. Infitāḥ al-naṣṣ al-riwāʾī (1st ed.). Arab Cultural Center. 42 p. (in Arabic)

31. Yaqtin, S. (1997). Analysis of narrative discourse. Taḥlīl al-khiṭāb al-riwāʾī (3rd ed.). Arab Cultural Center. 22, 213, 214 p. (in Arabic)